الجدد لصالح هجرة يهودية الى تركيا ، كانت حاجة الدولة للاموال اليهودية ، واتخذ الصهيونيون ذلك مجالا لممارسة ضغوط على الحكام الجدد من أجل تنازلات في صالح الاطماع الصهيونية(١). وتردد الحكم الجديد في اتخاذ هذه الخطوة ، ويعزى هذا التردد الى رفض الرأي العام العثماني تقبل الفكرة الصهيونية من جهة ، والى العداء العربي للتغلغل الصهيوني من جهة أخرى .

لقد كانت تنتظر اليهود المهاجرين الى فلسطين ظاهرة هامة : هي كونها آهلة بسكانها العرب . وكانت ردود الفعل لهذا التغلغل الصهيوني مبكرة . ومع ان الكتاب اليهود حاولوا ارجاع أسباب هذه المعارضة الى أمر طبيعي ينشأ عـــن المواجهة بين عالمين مختلفين ، الا أن المستوطنين الجدد عرفوا « أن طريقهم ليس مفروشا بالورود » . واعترف أحد مؤسسي نظام الهاشومير ـــ الحراس اليهود ـــ « أنهم منذ الايام الاولى قد شقوا طريق الصهيونية الصعب بيد على المحراث وأخرى على السيف »(٢).

وزادت حدة مقاومة العرب للصهيونية مع ثورة ١٩٠٨ لعدة أسباب : اولها تساهل الحكم الجديد مع الصهيونيين ، ثم ظهور الصحافة في الاجزاء العربية من آسيا وخاصة في فلسطين ، حيث أصبحت قادرة على التعبير عن موقف الرأي العام من الصهيونية بعد أن كانت البذور قد غرست قبل ذلك بسنوات ، وثالثها عودة النظام البرلماني الذي أتاح المجال لعرض القضية على مستوى رسمي واسع . وأخيرا تهديد الصهيونية الخطير للفكرة العربية الناشئة التي كان دعامتها تلك النخبة العربية من المثقفين مـــن أعضاء الجمعيات والاحزاب العربية السرية والعلنية .

ولم ينظر اليهود من جانبهم الى العرب ، كعامل سياسي هام يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار ، بل كانت جهودهم تدور حول تركيا ومن له كلمة فيها من أجل ازاحة القيود المفروضة على عملية الهجرة والاستيطان . وكان (آحاد هاعام) أحد كبار مفكري حركة (أحباء صهيون) من الاوائل الذين تبينوا الخطر الذي قد تضعه المسألة العربية أمام تقدم المشروع الصهيوني في مقاله « الحقيقة من أرض اسرائيل » عام ١٨٩١(٣). ولكن على العموم كانت وجهة نظر الصهيونية ترى أن المنافع الاقتصادية وامكانيات التقدم الفني والثقافي التي تحملها الهجرة اليهودية كفيلة بجعل عرب فلسطين يرون في الهجرة فائدة لهم فلا يضعون عراقيل في طريقها . ومن هنا كانت الحملة المركزة التي تولاها عدد من الكتاب الصهيونيين للتأكيد على منافع الهجرة اليهودية على الدولة العثمانية ككل ، وأهل البلاد بشكل خاص ، وفتحت لهم بعض الصحف العربيـــة صفحاتها بعد ١٩٠٨ (كالمقطم في القاهرة والنصير ولسان الحال في بيروت) .

ونتيجة لتقدير الصهيونيين أهميـــة المعارضة العربية وأثرهـــا في اعاقة جهودهم السياسية فكر بعضهم باستغلال عامل آخر هو غرس عدم الثقـــة التركية بالعنصر العربي ، واقترح أورباخ في عام ١٩١١ أن يساهم الصهيونيون في الوقوف في وجه الروح القومية النشطة لان من مصلحة تركيا في المستقبل أن تعمل على تدعيم ثقافة يهودية يمكن أن تكون ترياقا مضادا للقومية العربية(٤). وكان بعض الصهيونيين يرسمون خطا آخر للسياسة الصهيونية في علاقاتها مع الحركة العربية هو خط التفاهم وأسلوب التقارب والاخوة والمصلحة المشتركة ، فقد آمن الصهيونيون أن يلتفتوا الى تلـــك القوى التي تعترض طريقهم في محاولة لانقاذ المشروع الصهيوني مـــن الفشل . وواجهت الحركة الصهيونية معضلة شرحها تقرير بعثة ارثر روبن مدير مكتب فلسطين الصهيوني في يافا (الذي أسس ١٩٠٨ للاشراف على التطبيق العملي) الى اللجنة التنفيذية الصهيونية(٥). اذ برأيه أن الحكومة العثمانية تعتبر الاستيطان اليهودي كنوع من الحاجز ضد الخطر العربي ، الا أنها لا تجرؤ أن تكون علانية ضد العرب ، ولذلك هو ضد الاصوات التي